دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الوحدة المسيحية

في ضوء معنى الكنيسة
وحقيقة المسيح

للأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الوحدة المسيحية

في ضوء معنى الكنيسة
وحقيقة المسيح

للأب متى المسكين

كتاب : الوحدة المسيحية
في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح
المؤلف : الأب متى المسكين
(مجموعة مقالات نشرت لأول مرة في التواريخ المبينة في نهاية كل مقال : ما بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٥)
الطبعة الأولى : (مقال «الوحدة المسيحية» فقط) : يناير ١٩٦٥ .
الطبعة الثانية : («الوحدة المسيحية» مضافاً إليه المقالات الأخرى) : ديسمبر ١٩٧٨ .
الطبعة الثالثة : ١٩٨٥ .
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون .
ص . ب ٢٧٨٠ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٥/٥٣٢٦

محتويات الكتاب

تقديم ودعاء

+ أيها الآب القدوس يا من مجدت آبنك يسوع إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من آمن به إلهاً ومخلّصاً، نشكرك إذ أعطيتنا نحن البشر أن ندرك عمق سر لاهوتك، والوحدة الجوهرية القائمة بينك وبين آبنك وروحك القدوس التي دعوتنا إليها بدعاء آبنك لك: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني.» (يو١٧ : ٢١)

+ حقاً نؤمن أن هذه الوحدة التي تدعونا إليها ضرورة كشهادة لسر عملك في الطبيعة البشرية المائلة إلى الإنحلال والتفتت بسبب الخطية والأنانية، وضرورة ليؤمن العالم أنه لا رجاء له إلا في شخص يسوع المسيح حبيبك الذي أرسلته ليوحّد السمائيين بالأرضيين، والشعب مع الشعوب، والنفس مع الجسد.

+ نحن نُقِرُّ ونعترف أن إرسالك آبنك إلى قلوبنا: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣ : ١٧)، ينشيء فينا حتماً ميلاً سريعاً جارفاً للإتحاد: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني» (يو١٧ : ٢٣). لذلك فأي تعوّق في تكميل الوحدة التي تطلبها لنا جميعاً معك هو عجز في إيماننا ونقص في محبتنا، وهذا جعلنا نقدم المماحكات الفكرية والسياسية والعنصرية فوق مطالب الروح والإيمان والمحبة ونتقص من صوت المسيح في قلبنا لنُرضي العالم والناس.

+ أيها الآب القدوس مجّد آبنك في حياة الكنيسة لتتمجّدك الكنيسة وتمجّد آبنك أيضاً حينما يتنازل الجميع عن كل ما يعوّق الوحدة ويمنع المحبة، ولا تسمح يا رب أن تزلَّ الجماعة وتحاول رفع الخطية بالخطية، ومداواة العلة بالعلة فيطلبون الوحدة بالمماحكات الفكرية أو يربطون المحبة بالسياسة أو ينخدعون بالتكتلات العنصرية كأنها قوة روحية.

الوحدة المسيحية

□□□

الإنسان المسيحي يطلب الوحدة لأنه يطلب الله، وهو يحسها كائنة في روحه بقدر ما يحس الله. فالوحدة المسيحية مَطْلب إيماني بالدرجة الأولى، نطلبها لأننا مطالَبون بها في أعماقنا!

ولكن ليس الجميع لهم إحساس واحد بالله، لذا نرى الوحدة غير منظورة بمنظار واحد. فهي تمتد وتتقلص عند الناس بقدر ما للقلوب من علاقة بالله، حتى إنه يوجد من لا يحسها إطلاقاً بل و يوجد من يُنكرها، إنها محنة إيمان.

مردُّ الوحدة إيتيولوجياً أو أساساً يعود إلى حالة نضج في الإيمان وروحانية فياضة تتخطى حواجز البغضة ومفارقات الفكر وتباين الوجدان واصطناعات العقل وتدبير الجسد.

وحدة الإنسان بالإنسان أمر فوق طاقة الإنسان، إن كانت تُطلب على مستوى إلهي، وهي تنشأ **كضرورة** أو كنتيجة حتمية مباشرة لإتحاد الإنسان بالله. هذا قانون روحي يدركه الروحيون، وهو يقوم على أساس عملي و بشهادة الكتاب في مواضع كثيرة:
الوصية **الأولى** للإنسان: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك»... **والثانية:** «تحب قريبك كنفسك» (مت ٢٢: ٣٧ـــ٣٩). الكتاب هنا يقطع بأن الثانية بالأولى تقوم، لأنها منها تنبثق. والثانية بدون الأولى لا تساوي شيئاً، وتكون قريبة من الخطية!

إذن، الإلحاح على الوحدة في الوقت الحاضر الذي تشكو فيه كافة الكنائس من تدهور الإيمان في قلوب الرعاة والرعية، وضعف الروحانية، وإحجام الشباب عن تقديس

حياتهم للرب، يجعلنا نرتاب في الأمر! ما الدوافع، إذن، التي جعلت هذا الإلحاح على الوحدة يصبح بهذه الصورة الغامرة؟ لو كانت هناك يقظة روحانية وغيرة على الإيمان حقيقة لظهرت الوحدة بصورة عودة إلى الله عامة وفردية، كحالة توبة جارفة وندم واستغفار، كما كان يحدث لشعب الله دائماً بعد فتور أو ضلال. ولكن أن تُطلب الوحدة بهذه الصورة الملحاحة ونحن في هذا الفتور والضعف، ونحن نمارس الفُرقة والبعد عن الله علناً، يضعنا في الحال أمام إتهام: من أين لنا هذا الشعور؟!

الإنسان أصلاً من واحد، وهو آدم، لذلك من الطبيعي أن يكون هناك نزوع غريزي في الإنسان نحو ألفة طبيعية تعمل لها العاطفة لاشعورياً.

كذلك فالإنسان يحيا في عالم واحد تتبادل فيه المصالح أحياناً وتتصارع أحياناً أخرى بصورة تمس كيان الإنسان وحياته، لذلك نشأ عند الإنسان نزوع آخر نحو التكتل المضاد للعوامل المضادة، فيه يتحد الإنسان **ضد الإنسان**.

أولاً: الوحدة على أساس النزوع العاطفي

من أخطر ما يكون أن يختلط علينا الأمر وتتسرب العاطفة فتلوّن مطلبنا بالوحدة المسيحية، فالوحدة المسيحية يلزم أن تُطلب روحياً خُلْواً من شوائب الجسد والعاطفة: «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو٣: ٦)

وإرضاء العاطفة، وإن بدا صالحاً وجميلاً خصوصاً في الروحيات، إلا أنه يعجز أن يكمل مطلب الحق، لأن الحق بالنهاية يلغي العاطفة «الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله» (رو٨: ٨). لذلك فإن العاطفة وإن بدت منسجمة مع الروح، في بداية الطريق الصاعد نحو الحق، إلا أنها تشكل خطراً في الطريق كفيلاً أن يصدّ الإنسان ويرده عن الصعود! فالعاطفة تعمل لاشعورياً لحساب الجسد، وهي وإن خضعت للروح

فهذا يكون تزييفاً منها حتى تستعير القيمة الروحية وتستغلها لمجد الذات!

وحدة الإنسان، ولو كانت روحية ــ شكلاً ــ إن قامت على العاطفة، فهي تكون لمجد الإنسان وتعظيم الذات البشرية، والله ــ في الطريق ــ يكون القيمة المضافة على الإنسان! ... وبالتالي تصبح المشاورات والمداولات عبارة عن محاولة ــ جادة ــ لإيجاد لغة متحدة يتفاهم بها «أهل بابل» لإستئناف بناء برج السماء!

الأنا هي في الواقع مصدر التفتت الحادث في العالم كله، وفي الكنيسة بنوع ممتاز.

الله يطلب وحدة الإنسان على أساس أن يكون «هو» الرأس... «يكونوا واحداً فينا».

الوحدة الإنسانية الإلهية هي مقابل معادل لتجريد الإنسان من «الأنا» الفردية والجماعية.

العاطفة هي أخدع صورة «للأنا» لأنها أقرب ما يكون إلى الروح!

وسيان إن كانت عاطفتي تخدعني أو تخدع الطرف الآخر الذي يريد أن يتحد بي «لذاته» فربما أتنازل أنا عن «الأنا» ليتعظم غيري وليس الله. هنا تنازلي خداع، لأنه يلزم أن أكون قد تنازلت نهائياً عن «الأنا» مع كل عواطفي لله **قبل** أن أحاول أن أتحد بغيري، أي يلزم بحد ترتيب كلام الكتاب أن أكون قد أحببت الله: «من **كل** قلبي و**كل** نفسي و**كل** فكري» حتى أستطيع أن أحب غيري حباً موحداً لا يسيء إلى نفسي ولا يسيء إلى نفسه.

الإتحاد ليس هو تنازلاً عاطفياً، ولكنه صعود مجرد من العاطفة الذاتية، صعود ليس من الذات ولا بواسطة الذات. هو جذب أكثر منه اجتهاد لنتقابل عند الله وليس عند أنفسنا: «لا يستطيع أحد أن **يُقبِل** إليَّ إن لم يجتذبه الآب.» (يو٦: ٤٤)

والطريق الموصل إلى الإتحاد بالله ليس طريقاً مفرداً، أي ينتهي عند الله وحسب، بل يعود و ينحدر إلى القريب وإلى الغريب وإلى العدو وإلى كل الخليقة، والذي يتحد بالله يلزم في الحال أن ينظر كيف يتحد بالكل ولا يهدأ حتى يكمل هذا الإتحاد. والطريق إلى الله ومنه هو في قلب الإنسان!

الوحدة المسيحية إن كانت الآن ليست قائمة فذلك:
أولاً: لأن الإنسان يطلبها قبل أن يسلّم كل قلبه وكل نفسه وكل فكره لله.
ثانياً: لأنه يطلبها خارج نفسه، أي إنه يسعى لتحقيقها موضوعياً وليس ذاتياً.

أن نطلب الوحدة قبل أن نبلغ حالة تسليم كلي من القلب والنفس والفكر لله، ندخل **إما** في صراع عاطفي فنطلب الوحدة لذاتنا، **وإما** في خداع فكري فنطلب الوحدة لذاتها كضرورة يحتمها منطق الإيمان. ولا يغيب عن البال أن الفكر قوة تسخرها العاطفة قبل أن يبلغ الإنسان حالة التسليم الكلي لله.

وأن نطلب الوحدة خارجاً عن النفس نتوه في الموضوع وفي النظريات. والموضوع دائماً محل نظر متعارض واختلاف لا حل له، الموضوع يُرى من زوايا متعددة، وكلٌّ له منظاره الذي يصْدُق له ولا يصْدُق لغيره على الإطلاق.

الوحدة ليست موضوعاً يمكن أن يُفحص نظرياً أبداً، الوحدة أصلاً جوهر إلهي، فهي حقيقة، والحقيقة الإلهية ليس لها زوايا «ولا ظل دوران» فهي تُرى من **الكل ككل** مرة واحدة لأنها بسيطة. وهي **لا يمكن رؤيتها خارجاً عن الله أو بدونه.** لأن الذي يرى صفات الله يرى الله بالضرورة: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ١٠). قال الله: «أجيز كل جُودَتي قدامك» (خر٣٣: ١٩)، فقيل إن موسى رأى الله «وجهاً لوجه» (خر٣٢: ١١) مع أنه لم يرَ إلا جُود الله!

الله يسكن القلب و يُرى فيه، فيمتلىء القلب بصفات الله و يدرك الوحدة في عمقها

وحقيقتها! الوحدة رغبة من رغبات الله أعلنها المسيح: «ليكونوا واحداً فينا».

فهي من قلب الإنسان تُطلب وفيه تُفحص، إن كان المسيح في القلب فعلاً! «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٧)

الوحدة الآن تُبحث في كل المجالات كموضوع على أنه **تمهيد** ليكون الكلُّ واحداً في الله. هذا خداع نظر، الوحدة لا يمكن فصلها عن الله «مؤقتاً» لنجعلها وسيلة للدخول إلى الله! الوحدة تصير حقيقة واقعة عندما يكون الكل في الله.

وسيلة بحث الوحدة الآن موكول للمجال العقلي الذي يغمره موجات من العاطفة. هذه وسيلة بحث علمي «مُرَوْحَن». الوحدة ليست علماً، وهي لا تتبع أصول المعرفة المستمدة من الصواب والخطأ أو من الخير والشر. الوحدة حق والحق يلهم والإلهام يستقر **في القلب** أولاً ثم الذهن «ألم يكن **قلبنا ملتهباً** فينا إذ كان يكلمنا... فانفتحت أعينهما **وعرفاه**» (لو٢٤: ٣٢و٣١). وهذا الترتيب يظهر بصورة أوضح في عب ١٠: ١٦: «هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب **أجعل** نواميسي في **قلوبهم** وأكتبها في **أذهانهم**».

الإلهام لا يغفل العقل أبداً، ولكن العقل يغفل الإلهام دائماً!...

نحن لا نريد أن نغفل بحث الوحدة في المجال العقلي لأن العقل يعلن أخطاء الناس ويفندها. هذا هو دأب العقل واختصاصه القائم على التحليل وهو نافع لقليل، ولكن الوحدة عمل بنائي للنفس وتجميع لقواها، وهذا هو اختصاص الروح، والروح يعفو ويغفر ويحب ويوحِّد! الوحدة فوق إمكانيات العقل، كل ما يستطيع العقل أن يعمله هو أن يفهمها لما تتم، ولكنه لا يدرك مسبقاً كيف تتم فإن «ملكوت الله لا يأتي بمراقبة.» (لو١٧: ٢٠)

اجتماع القوم في هذه المدينة في أقصى الأرض ثم في هذه الأخرى التي في أقصاها أمر

جيد، لأنه هو عينه التمهيد الحقيقي للحضور الإلهي، إن كان الإجتماع قائماً على الإستعداد الفردي لقبول الحضور الإلهي وليس مجرد اجتماع الجماعة وحسب!

إن كنا نريد وحدة حقيقية، يلزم أن نطلبها ونبحث عنها في الله وبحضوره، وليس كموضوع نظري منفصل عن الله مهما كان هذا الموضوع لاهوتياً شكلاً.

في الحضور الإلهي يعمل الذهن «كاستجابة» للحضور الإلهي وليس «كمقترح» له، هذه الإستجابة تكون صادرة من مفاعيل في القلب أقوى وأشد، هي صدى الإلهام الذي يلازم الحضور الإلهي.

الوحدة تُبحث وتُنظر قلبياً من خلال الحضرة الإلهية وفي وجودها.

والوحدة بدون الحضور الإلهي لا تزيد عن كونها فكرة وموضوعاً وتمنيات.

ولكن في حضور الله تكون الوحدة قائمة ومنظورة بل غامرة ومُعاشة، وكثيرون يعيشونها، حينما يحضر المسيح في وسط الجماعة المتناظرة يلزم أن يكفَّ التناظر ويبدأ كل واحد يملأ عينيه وقلبه من الوحدة الحقيقية ويهيىء كيانه كله لقبولها وعطائها.

السؤال الذي يُطرح بخصوص الوحدة على صعيد اللاهوت الموضوعي ولا يجد له حلاً، هذا بحد ذاته دليل كافٍ على أن الرب غير قائم في وسط الجماعة، وغياب الرب يقطع بضرورة إعادة النظر في غاية الإجتماع وأسلوب البحث ونية المجتمعين!

يقيناً لو رفعنا «الأنا» الفردي و«الأنا» الكنسي من الشعور واللاشعور لصارت الوحدة كائنة بلا جدال! «الأنا» بكل صفاته «التقليدية» و«المنطقية» و«القانونية» و«القدسية» لا يمكن التنازل عنه، بل ولا يملك الفرد، مهما كان سلطانه على نفسه، أن يتنازل عنه! ولا إن كان هو يمثل الكنيسة التي يتبعها يستطيع أن يتنازل عن «أنا» كنيسته، ولكن بحضور الرب حقاً وفعلاً، يتلاشى كل كيان ذاتى من صنع الإنسان و يصير المسيح «أنا الكل»!

هنا لا يتنازل الإنسان لأخيه ولا الكنائس تتنازل لبعضها، ولكن الكل يسلم الكل لله! كما سيخضع كل شيء حتماً في النهاية: «ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الإبن نفسه أيضاً سيخضع للذي أُخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل.» (١كو١٥: ٢٨)

القضية في أمر الوحدة هي بصورة قاطعة وحادة قضية «حضور الرب»، لأن بهذا الحضور تتم الوحدة إلهياً وتُرفع الفوارق، الرب وحده الذي يستطيع أن «يجعل الإثنين واحداً» و«ينقض حائط السياج المتوسط.» (أف٢: ١٤)

القضية ذات حدين: وحدة، ورفع فوارق... على مستوى تحب الرب إلهك أولاً، وثانياً تحب قريبك!

منطق الإنسان هو أن تُرفع الفوارق أولاً فتتم الوحدة.
أما منطق الله كما ينطقه الوحي في الأصحاح الثاني من رسالة أفسس فهو أن تتم الوحدة أولاً فيُنقض حائط السياج المتوسط!

هذا التعارض قائم الآن في اجتماعات الوحدة المسيحية.
الضرورة تحتم إعادة النظر في شكل قضية الوحدة لكي تكون حسب الله.

ثانياً: الوحدة على أساس النزوع إلى التكتل

الوحدة هي إتحاد الواحد في الواحد لملاشاة الكثرة، فهي من جهة الشكل ضعف. أما من جهة الجوهر فهي قوة عظمى غير قابلة للإنقسام كالله! التكتل خلاف ذلك فهو ضم الواحد إلى الواحد ليصير كثرة، فالتكتل من جهة الشكل نزوع إلى القوة أو السطوة، ومن جهة الجوهر ضعف منتهى الضعف لأنه يحمل معنى العجز والخوف.

خطر على الوحدة المسيحية أن يدفعها للوجود غريزة التكتل، سواء من جهة الضعيف ليتقوى أو من جهة القوي ليزداد سلطاناً. لأن هذا تهالك على مواصلة الحياة الأرضية، وممارسة الحياة المسيحية لا يستقيم معها هذا الإتجاه: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد» (مت ١٠: ٢٨). القوة في الحياة المسيحية لا تستمد وجودها من الكثرة أو من التكتل ولكن من الإتحاد بالله! «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.» (في ٢: ١٣)

إن عرض الوحدة المسيحية على كنيسة ضعيفة تواجه ظلماً أو اضطهاداً أو فقراً، هذا يكون تجربة خطرة عليها إذ ينبه فيها اللاشعور لإيقاظ غريزة التكتل لمواجهة الخطر الذي يقلقها. وهناك تكون التفرقة في ذهن الكنيسة بين الوحدة الإلهية التي يطلبها الله وإتحاد الكثرة التي تطلبها الغريزة للنجاة، أمراً في غاية المشقة.

لذلك، فعرض الوحدة المسيحية على كنيسة تواجه عوامل مضادة، إمتحان لضميرها أقسى من الإضطهاد الذي تعانيه ألف مرة!

وأن تختار الكنيسة ــ وهي تحت ضغط عوامل اضطهاد ــ الوحدة المسيحية اختياراً حراً خالياً من التهرب من واقعها المر، أمر يحتاج إلى بصيرة نيِّرة وحذر وإماتة واستسلام كلي لله، بل وهذا كله لا يكفي، إذ يلزم قبل أن تبحث إمكانية الوحدة أن تكون قد بلغت حالة الرضى بالواقع المر، بل والإستعداد بمسرة للإستمرار فيه حتى آخر نسمة في رعيتها! هنا تكون اشتياقات الوحدة ودوافعها نابعة حقاً من كيانها الإلهي وصادرة لها من الله بالإلهام، وليست نابعة من ظرفها المر أو صادرة لها من غريزة الصراع ضد العوامل المضادة.

ولكي نؤمِّن للكنائس الضعيفة والمضطهَدة سلامة «معنى الوحدة المسيحية» في سلوكها عبر التاريخ ومصادمتها للواقع الزمني ونوقظ فيها ضميرها الإلهي، يلزم بالدرجة الأولى أن تُفهم الوحدة أنها حالة «ضعف إلهي تجاه العالم» كسيدها الذي سلَّم قوته

اللانهائية ليصلبها من يشاء وكيفما يشاء!

والمسيح إذ أراد أن يعلن «قوة ضعفه» ـــ إن جاز هذا التعبير ـــ نبَّه ذهن التلاميذ في وقت محنته وتحت ضغط أقسى الظروف التي يمكن أن يعانيها «إنسان» أعزل، بقوله: «أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من آثني عشر جيشاً من الملائكة؟» (مت٢٦: ٥٣)

ما الذي منع الرب من هذا الموكب؟ يُصلب وحوله آثنا عشر جيشاً من الملائكة؟ هل يمكن؟

هناك خطر بشري كامن وراء «موكب» الوحدة المسيحية يهدد «ضعفها»، إن جاز هذا التعبير! وحدة الكنائس المسيحية توهم الضمير المريض أنها تكفل للإنسان المسيحي حالة قوة زمنية، مع أن ضعف الكنيسة الزمني أثمن ما فيها، هو فخرها وهو قوتها لأنه «ضعف إلهي» أو كما يقول القديس بولس الرسول: «وضعف الله أقوى من الناس.» (١ كو١: ٢٥)

الكنيسة القوية زمنياً لا يمكن أن تذوق الصلب «الإضطراري» لأن الإنسان لا يُصلب إلا عن ضعف كسيد الكل الذي «قد صُلب من ضعف.» (٢ كو١٣: ٤)

فالكنائس المعتبرة أنها قوية «زمنياً» أو التي تسندها قوات هذا الدهر، تشكل لها عروض الوحدة المسيحية تجربة الوقوع في عقدة الإحساس بالتفوق، وتهييء لنفسها منظر المنقذ، كما تهيأ لبيلاطس ذلك عندما كان جالساً على كرسي الولاية المرتفع، والرب أمامه مقيَّد بسلسلة وعليه ثوب الإستهزاء: «أمّا تكلمني، ألست تعلم أن لي سلطاناً... أن أُطلقك؟» (يو١٩: ١٠)

أن ينزل أحد عن الصليب لا يثبت أبداً أنه «آبن الله»!

والذي يظن أنه قادر أن يُنزل آخر من على الصليب يثبت قطعاً أنه لا يفهم «مشيئة الآب»!

الضعف الزمني يلازم الصليب بالضرورة. والصليب في حياتنا أساس... «فالصليب **قوة الله**» (١ كو١: ١٨)، وهي «في الضعف تُكْمَل» (٢ كو١٢: ٩)، الضعف نطلبه بإرادتنا ونحتمله إن حلّ علينا ولا نخاف، لأنه مع الضعف دائماً نعمة: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكْمَل».

قمع غريزة التكتل باشره الرب قبل الصليب بصورة إرادية ولا إرادية معاً، شأن كل أعمال الرب: «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (مت٢٦: ٥٦)، «إن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون.» (يو١٨: ٨)

والقوة استهزأ بها الرب كما قال لتلاميذه: **بيعوا ثيابكم** واشتروا سيفاً!... القوة **تُعرّي** الإنسان من سلطان الروح... فإما أن تلبس المسيح أو تلبس العالم.

لما صمم بطرس على حمل السيف و باشر القوة تعرى من النعمة فأنكر بلسانه من أراد أن يحميه بسيفه! لأنه لما حمل بطرس السيف وتمنطق بنية القتل فارقه الروح، فجاء الشيطان وطعنه بسيف الجحود والتجديف وتم قول الرب له: «الذين يأخذون السيف **بالسيف يهلكون**» (مت٢٦: ٥٢). والرب لا يعني إلا الهلاك الروحي الذي من أجله سبق وقال له: «لكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك.» (لو٢٢: ٣٢)

الوحدة المسيحية إن تلامست مع فكرة القوة الزمنية، حتى لمجرد تأمين مصالح الضعفاء، أو بدت نافعة لإستحداث قدرة بشرية للرعاية بالضغط على الخراف الشاردة، فإنها تفقد في الحال قيمتها الإلهية وتصير تكتلات مآلها إلى الإنحلال ثم إلى الزوال، كأي تدبير زمني من صنع الإنسان...

نحن نريد ونطلب من الله وحدة للكنائس، إلهية في مظهرها وجوهرها...
وحدة فوق الزمان.

(نشرت لأول مرة عام ١٩٦٥).

مسيح واحد
وكنيسة واحدة جامعة

□□□

في عصرنا هذا المدموغ بالطائفية المذهبية يتبادر إلى فكر الإنسان، عندما نقول: «نؤمن بكنيسة واحدة جامعة»، أن الوحدانية هنا تنصبُّ على الطائفة أو العقيدة التي يعيشها الإنسان المسيحي، كأن يكون أرثوذكسياً أو كاثوليكياً أو بروتستانتياً، و بالتالي تصبح الصفة الجامعة تابعة بالضرورة للوحدانية الطائفية.

فالأرثوذكسي يُصِرُّ على أن وحدانية الكنيسة هي أرثوذكسيتها، وأن جامعيتها هي شمولها لكافة الأرثوذكس فقط الذين في العالم. وعلى نفس النمط يصِرُّ الكاثوليكي على ذلك والبروتستانتي أيضاً. و بذلك يتبلور المفهوم اللاهوتي لطبيعة الكنيسة عند الإنسان المسيحي عموماً على كون صفة الوحدة بالنسبة للكنيسة هي عقائدية منحصرة، وأن الجامعية صفة مكانية للكنيسة ملتزمة بالعقيدة.

وفي هذا المفهوم الضيق المتعصب للفكر والمكان تضيع حقيقة طبيعة الكنيسة اللانهائية التي تفوق فكر الإنسان وأرضه!!

فالكنيسة أعظم من الإنسان وأعظم من السماء والأرض، فالإنسان لا يملأ الكنيسة ولن يملأها حتى ولو خلص كل العالم بكل عقائده وأنظمته حتى و بأثر رجعي ومستقبلي شامل، لأن الوحيد الذي يملأ الكنيسة هو المسيح!! لأنه الملء الكامل في ذاته الذي يستطيع وحده أن يملأ الكل في الكل. يملأ الإنسان وفكر الإنسان والمكان وكل زمان!!

والعالم لا يمكن أن يحتوي الكنيسة بسمائه وأرضه؛ ولكن الكنيسة تشمل سماء الإنسان وأرضه دون أن تضيق بهما، لأن الكنيسة هي الخليقة الجديدة: سماء جديدة وأرض جديدة وإنسان جديد! حيث في طبيعة هذه الخليقة الجديدة تُبتلع طبيعة الأرض القديمة والسماء القديمة وكأنها لا توجد مع أنها موجودة، و يُبتلع الموت في الحياة فلا يعود له سلطان، و يُبتلع الفاسد في غير الفاسد ليصبح كل شيء جديداً حياً أبدياً طاهراً. والجديدُ هنا هو ما يتبع «الكلَّ غير المتغير اللانهائي»، والقديمُ هو الجزء الذي يزول حتماً أولاً بأول، بحكم تغيره.

إذن، فالكنيسة بطبيعتها «الجامعة» أكبر من الإنسان ومن كل أفكاره ونظمه وعقائده، وأكبر من العالم بسمواته الهائلة، ومن أرضه الواسعة بكل فسادها، ومن كل حوادثه الزمانية من أولها إلى آخرها!!

الكنيسة هي الكل الجديد!! وصفة **«الكلية»** هنا بالنسبة للكنيسة تُستمد من حقيقة طبيعة المسيح التي تكونت منها الكنيسة والتي تشمل كل ما للإنسان وكل ما لله «بالتجسد»!! فالكنيسة «كلية» أي «جامعة» لأنها تجمع في جسد المسيح الذي يملأها كل ما للإنسان وكل ما لله معاً في وجود واحد منظور وغير منظور معاً، وجود محدود وغير محدود معاً، وجود في دائرة الزمان والمكان وفي الأبدية وما وراء الطبيعة.

وكلمة جامعة «كاثوليكية» لو فحصناها لغوياً في أصلها اليوناني الذي تسمَّت به أولاً نجدها من مقطعين: الأول καθ وتعني «بحسب» κατα، والثاني ὅλον وتعني الكلية WHOLE. حيث الكلية هنا هي الكلية العظمى التي تفوق الوجود المحدود عموماً!! فهي كلية غير متغيرة، غير محدودة، غير مجزأة، فهي كلية «**واحدة** ثابتة» بمفهوم طبيعة المسيح، غير المنقسمة، غير المختلطة، غير المتغيرة!!

وهكذا فالكنيسة تتبع المسيح في كل صفاته. فكما أن المسيح واحد بشخصه، جامع بطبيعته، كلِّي بوجوده الزماني وغير الزماني بآن واحد والمكاني وغير المكاني بآن واحد،

هكذا أيضاً الكنيسة **«واحدة جامعة»**!! أي أن كل من في الكنيسة هو بالضرورة واحد، و ينبغي حتماً أن يكون واحداً بسبب جامعية الكنيسة أي قدرتها الإلهية التي أخذتها من المسيح لتوحيد كل إنسان في الله. من هو في المسيح فهو من الله و واحد في الله!!

الكنيسة تمارس طبيعتها الجامعية بواسطة الأسرار، لأنه بالأسرار يتحد المؤمنون جميعاً بجسد المسيح السري فيصيرون **جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحدا**، أي يدخلون في طبيعة الكنيسة «الجامعة الواحدة»، جسد المسيح في الكنيسة هو سر جامعيتها وشخص المسيح هو سر وحدانيتها!!

لذلك إذا لم يبلغ المؤمنون في الكنيسة إلى حالة وحدانية قلب وفكر بفاعلية الإشتراك في الجسد الواحد ثم إلى حالة حب واحد بفاعلية شخص المسيح المالك على الكل، تصبح الأسرار ذات مدلول شكلي فقط. وهذا هو الذي يمهد إلى الإنقسام الفكري والعقائدي.

الشكليات في الأسرار والعقيدة أمر يتنافى مع حقيقة طبيعة الجسد الواحد الجامع الذي كل من يأكله يحيا به و يصير واحداً فيه، لأن جسد المسيح في الكنيسة هو مصدر حياة وتوحيد، فهو حي ومحيي وله قدرة على إزالة كافة الفوارق التي صنعها الزمان والمكان وفكر الإنسان وغرائزه، سواء فوارق طبقات إجتماعية «ليس عبد ولا حر في المسيح»، أو فوارق شعوب وحضارات «ليس يهودي أو يوناني، ليس بربري أو سكيثي»، أو فوارق جنسية «ليس رجل وآمرأة».

جسد المسيح السري في الكنيسة هو مصدر قوة الكنيسة الذي يجعلها تجمع كل شيء وتوحّد كل شيء في ذاتها في طبيعتها «الجامعة الوحيدة».

الكنيسة هي الخليقة الجديدة، فكما أن آدم كان رأس الخليقة البشرية القديمة والوحيد الذي خرجت منه كل الأجناس والشعوب والعناصر والطبقات، هكذا صار

المسيح آدم الثاني رأس الخليقة البشرية الجديدة والوحيد الذي خرج منه الإنسان الجديد جنساً واحداً مختاراً (حيث الجنس هنا هو جنس المسيح الإلهي)، وشعبا مبرراً (حيث الشعب هنا هو الجماعة التي يجمعها برُّ المسيح وليس برِّها الذاتي)، وأمة واحدة مقدسة (حيث الأم الواحدة هنا هي المعمودية المقدسة وليس رحم امرأة).

إن السر الأعظم في قدرة المسيح على توحيد الأجناس والشعوب وإلغاء كل الفوارق بين كافة الناس على الأرض (الجامعية الكنسية) هو أنه إله متأنس، ابن الله وابن الإنسان بآن واحد. لاهوت المسيح جعل ناسوته يرقى فوق كل عنصرية وجنسية وتحزب، بل وفوق الخطية والموت. و بنوّة المسيح لله جعلته يجمع شمل الإنسان في بنوة لله واحدة. لذلك كل من يأكل جسد المسيح تذوب منه جميع الفوارق والخطية أيضاً والموت، فيصير إنساناً واحداً مع كل واحد، إنساناً جديداً مخلوقاً جديداً نقياً على صورة المسيح و بالتالي ابناً لله في بنوة المسيح الوحيدة! وهكذا أصبحت الطبيعة «الجامعة» في الكنيسة تعتمد على جسد المسيح الإلهي كقوة لتجميع شمل البشرية وتوحيدها جميعاً في بنوة لله واحدة!!

الجامعية في الكنيسة هي جامعية المسيح، هي فاعلية طبيعة المسيح القادرة أن تجمع الإنسان بالله والإنسان بالإنسان بآن واحد!! أي إن كون طبيعة الكنيسة «جامعة»، يعني أنها ضد كل تفرقة، كل انقسام، كل عزلة، بل وكل ما يسبب الإنقسام أو يدعو إليه، مهما كان مصدره سواء كان هذا من داخل الإنسان أو من خارجه.

ولأن المسيح لا يجمع شتات الألوان والأجناس والعناصر في فكر واحد أو إيمان واحد فحسب بل **وفي جسد واحد** أيضاً بكل معنى الجسد الواحد من أُلفة وتفاهم وحب، لذلك أصبحت الكنيسة التي هي جسده السري، بمعموديتها وإفخارستيتها، هي ملتقى البشرية كلها والملتقى الوحيد لكل الشعوب والأمم والأجناس والألسنة والألوان حيث فيها تذوب كل الفوارق والخلافات فيصبح الجميع جسداً واحداً طاهراً كبيراً، روحاً واحداً، ومؤتلفة ومتحابة، إنساناً واحداً متصالحاً رأسه المسيح، له كل ما للأجناس

والشعوب والألوان والألسنة من مميزات ومواهب، ولكن ليس فيه أي انقسام أو نزاع أو تفرقة، وأن هذا هو ما تعنيه تماماً صفة «الجامعية» بالنسبة للكنيسة!!

أما لماذا لم تحقق الكنيسة جامعيتها بعد، أو بمعنى أصح لماذا لا تعيش الكنيسة الآن في العالم بطبيعتها «الجامعة» التي ينبغي أن تكون هي صميم حياتها في المسيح و برهان قوتها وسر كمالها أو اكتمالها الإلهي؟ فالجواب واضح و بسيط وهو أنها لم تتحقق بعد من نقاء مفهوماتها الإلهية نقاءً يسمو فوق المنطق أو العقل البشري، أي لا تزال مفهوماتها الإلهية خاضعة لتفسيرات لفظية وفلسفية تعوق رؤية صفاء «طبيعة المسيح الجامعة»، طبيعة المسيح ذات القدرة الفائقة على المصالحة الكلية وذات القدرة على توحيد الطبائع المختلفة بما يفوق طاقة أية طبيعة بحد ذاتها وليس فقط الأفكار والمبادىء والعقائد وذلك على أساس غفران وتطهير وتبرير بل وتقديس كل إنسان بدم المسيح القادر أن يغفر خطايا العالم كله، وكأنما الكنيسة لم تبلغ بعد إلى اكتشاف عمق قدرة دم المسيح وطاقة عمل جسده وأعماق حبه و بره!!

واضح جداً أن كل الإصطلاحات اللاهوتية التي تسببت في الفُرقة العقائدية ليس فيها عيب في حد ذاتها، ولكن العيب حدث في تفسيرها وفي فهمها لأن الإنسان هنا اقترب من اللاهوت ــ أي من طبيعة الله البسيطة الصافية ــ بعقل آدم وفكره وليس بعقل المسيح وفكره!!! إذن فالإنقسام هنا حتمي وضرورة تفرضها طبيعة بني آدم المنقسمة على ذاتها...

الإنقسام في فهم المسيح وإدراكه ليس هو واقعاً أصلاً في شخص المسيح ولا هو من طبيعته «الجامعة»، بل حدث بسبب الإنقسام الواقع أصلاً في طبيعة الإنسان التي تشوشت بالخطية فامتلأت أحقاداً وشكوكاً وظنوناً وكبرياءً وفُرقة. و بالتالي فالعيب في انقسام الكنيسة ليس هو في طبيعة الكنيسة بل هو في طبيعة الفهم والإدراك والرؤية لحقيقة المسيح والكنيسة.

ومن هذا نرى أن أي انقسام في مفهوم طبيعة المسيح والكنيسة معناه أننا اقتربنا من اللاهوت اقتراباً بشرياً بفكر عتيق، أي اقتراباً غير لاهوتي في الحقيقة. وكل انقسام حدث في الكنيسة معناه أن الإنسان بدأ يعالج أمور الكنيسة بفكر ذاتي عنصري (يُفرِّق)، أي بفكر غير كنسي، غير «جامعي» (يوحِّد).

وهكذا سيظل المسيح واحداً بلا أي انقسام أو نزاع أو اختلاف، بالنسبة للإنسان «الجديد» فقط، الإنسان الذي له فكر المسيح، وتبقى الكنيسة واحدة في العالم كله وحيدة جامعة لكل الناس، أرثوذكسية في كل فكر بلا أي تشيُّع أو انقسام أو طائفية، بالنسبة للإنسان «الجديد» فقط، الإنسان الذي قَبِل طبيعة المسيح في أعماقه.

فحينما ينكر الناس مشيئاتهم تظهر حينئذٍ، وحينئذٍ فقط، مشيئة المسيح الواحدة، وحينما يتخلى الناس عن شهواتهم وأحقادهم و يُخضعون أجسادهم وعقولهم لفعل الروح القدس، يُستظهر حينئذٍ، وحينئذٍ فقط، جسد المسيح السري ويمارس عمله في الكنيسة لجمع القلوب والمبادىء والأفكار، وحينما يسلم الناس حياتهم بإخلاص النية للمسيح فحينئذٍ، وحينئذٍ فقط، تظهر حياة المسيح في الكنيسة، و ينسكب روحه في كل أرجائها.

فإذا خضعت كل نفس في الكنيسة خضوعاً روحياً أميناً صادقاً بتوبة إلى الله حارة، وإذا خضعت كل كنيسة خضوعاً روحياً أميناً صادقاً بتوبة إلى الله حارة، تتحد الكنيسة بنعمة الله وتتحد الكنائس بقوة الروح القدس و يصير المسيح فيها جميعاً راعياً واحداً لرعية واحدة يدبرها بنفسه و بروحه و يصير هو مصدر جامعيتها ومصدر وحدتها.

أليست الكنيسة استعلاناً لتجسد المسيح على الأرض واستمراره عبر الزمان، والمؤمنون يشكلون فيها الطبيعة البشرية الجديدة للإنسان، المجدة في شخص المسيح والمتبناة بواسطته لله!! وكيف يُستعلن المسيح في الكنيسة إلا من خلال وحدة الفكر والإرادة والمشيئة والإحساس الواحد بالوحدة الإنسانية والروحية بين أبناء الله الواحد

المولودين ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله!؟

كيف يتبرهن للعالم أن الله واحد إلا من خلال وحدة المولودين منه؟

ثم كيف يتحقق العالم من أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد إلا من خلال وحدة بنوّة المؤمنين به الذين ولدهم لله بموته عنهم وقيامته بهم، الذين صاروا متحدين بجسده ودمه وروحه؟ أي صاروا جميعاً أعضاءً في جسد واحد.

ثم ألا يظهر من هذا أن جامعية الكنيسة ووحدتها هما اللاهوت كله و برهان وجود المسيح وعمله وتحقيق الميلاد الجديد للإنسان الذي حصل عليه من السماء ومن الماء والروح؟

وإن عدم اكتمال جامعية الكنيسة ووحدتها حتى الآن بين كنائس العالم إنما يلح علينا جميعاً لا أن نراجع لاهوتنا، فلاهوتنا صادق جداً وأمين، بل أن نراجع أنفسنا على لاهوتنا الصحيح حتى نصحح رؤيتنا لله كأب واحد لكل البشر، ونصحح إدراكنا للمسيح كمخلّص واحد وفادٍ واحد لكل من يدعو باسمه، الذي تبنى الإنسانية كلها لله بدون تمييز، ثم نصحح حبنا للإنسان ــ كل إنسان ــ باعتباره أخاً لنا بالإلتزام، حتى ولو ناصبنا العداء ونصب لنا فخاخ الموت!

ولكن علينا أن ندرك تماماً أن الذي يدفعنا إلى هذه الجامعية الكنسية والوحدة الكنسية ليس مجرد غيرة لاهوتية، ولا مُثل عليا ولا حتى تأنيب الضمير؛ بل ينبغي أن يكون من واقع إيماننا وواقع حبنا، أي من واقع جدة الحياة التي نعيشها و واقع ميلادنا الجديد الذي من السماء الذي لا يمكن أن يتحقق لنا ونعيشه بمعزل عن جامعية الكنيسة ووحدتها!!

الإنسان الجديد لا يمكن أن يعيش كجزء منفصل عن جزء أو كمنقسم على آخر أو من مركز حقد وعداوة لجزء آخر. الإنسان الجديد لابد أن يكون «كُلاً» ولابد أن يكون

«واحداً»، لأنه من طبيعة جامعة ومن أب واحد. الطبيعة الجديدة الواحدة التي يولد بها كل إنسان في الكنيسة هي التي تجعل «الكل واحداً» بالنعمة والروح. الحب هنا يفرض سلطانه الإلهي الجامع، والأُبوّة الواحدة تصبغ جميع المولودين للآب بصورة المسيح الإبن الوحيد.

الكنيسة «جامعة» لأنها «جسد» الإبن المبذول من أجل العالم كله بالمحبة، الذي يجمع كل شيء في ذاته.

الكنيسة «واحدة» لأنها بيت الآب الذي لا ينقسم على ذاته قط.

ونحن الآن نتطلع بشوق شديد ودموع وصلاة و بوعي الإنسان الجديد من أجل جامعية الكنيسة ووحدتها في العالم كله.

(١٩٧٢)

(نشرت لأول مرة عام ١٩٧٢ بمجلة «النور» اللبنانية).

الكنيسة وقدرتها على الإتحاد

□□□

الكنيسة على ممر العصور:

قبل أن تأخذ الكنيسة نظامها الداخلي وترتيب رئاستها وتتحدد قوانينها، كانت تمارس سلطانها بالتمام، كما هو الآن، على الشعب، لأنها كانت تستمد تعاليمها وخدماتها من الله بصورة مقنعة سواء من الروح القدس مباشرة أو من الإنجيل، وذلك في العصر الرسولي: «علامات الرسول صُنعت بينكم» (٢ كو١٢: ١٢)، و«شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته.» (عب٢: ٤)

لذلك فإن النظام الكنسي وترتيب الرئاسات المقدسة وتحديد القوانين الذي جاء بعد ذلك، إنما جاء نتيجة مباشرة لتفاعل الروح القدس مع الخدمة وأعوازها واضطراراتها، وذلك بالإلهام المباشر للرسل و بالأخص للقديس بولس الرسول ثم المجامع من بعده.

لذلك لا يمكن اعتبار السلطان الكنسي وليد القوانين والأنظمة، إنما هو صادر للكنيسة من الله مباشرة في شخص يسوع المسيح الرأس الحقيقي المدبر للكنيسة.

أما القوانين والأنظمة وترتيب الرئاسات في الكنيسة فهي من جهة تُعتبر الدرع البشري الحافظ لسلطان الروح، ومن جهة أخرى تُعتبر تأميناً لتدبير هذا السلطان على قدر مستويات المدبرين.

ولكن لأن القوانين والأنظمة وترتيب الرئاسات أُعطيت بالإلهام لأشخاص مقدسين لحفظ سلطان الروح ولخدمة تدبير الله في كنيسته، فهي بالضرورة مقدسة.

وفي البدء كان الذي يضطلع بحفظ هيبة النظام الكنسي وقوانينه وسلطانه هو الروح القدس، كما هو مكتوب في قصة القديس بطرس الرسول وحنانيا وسفيرة (راجع أعمال ٥: ١ــ١١)، أما بعد العصر الرسولي وحتى هذا اليوم فالأساقفة اضطلعوا بهذا العبء، اعتماداً على المجامع السالفة وعلى سيرتهم المقدسة وعلى نصوص الإنجيل.

أي أن الكنيسة بنظامها وقوانينها وسلطانها وترتيب رئاستها عمل إلهي من أوله لآخره، على حد قول **القديس إغناطيوس** الأنطاكي الشهيد (من الآباء الرسوليين):

[أينما وُجد المسيح وُجدت الكنيسة الجامعة].

[أينما رُئي الأسقف رُئي جسم الشعب المسيحي الذي يكوِّن الكنيسة].

ويريد القديس إغناطيوس أن يقول إن الكنيسة الجامعة تكون وتتميز بحضور المسيح عندما تجتمع الجماعة وفي وسطها الأسقف.

كذلك فالقديس إغناطيوس يرى أن الكنيسة هي جسد المسيح، فهي وليدة التجسد، أي وليدة الإتحاد الكلي بين الجسد والروح، ويتحتم عليها أن تبقى كذلك من حيث تكوينها الداخلي والخارجي، الفردي والجماعي، على السواء، ومن حيث إيمانها وحبها.

بهذا التمهيد نرى أن الكنيسة بتركيبها السري هذا كجسد وروح، وبنظامها وسلطانها وترتيبها وأسرارها وحياتها، إنما تمثل في الواقع «إنساناً كاملاً حياً متحداً بالمسيح يعيش بالروح حسب الإنجيل».

ومن هنا يجد القديس إيرينيئوس تعبيره: [أينما وُجدت الكنيسة وُجِد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة وكل عمل النعمة والحق]، وذلك باعتبار الوحدة الكاملة بين الجسد والروح في الكنيسة، أي المؤمنين والله.

كذلك يرى القديس إيرينيئوس أن الكنيسة هي المدخل إلى الحياة، التي فيها كل

التعليم المسلَّم من الرسل للإيمان كوديعة مسلَّمة من الله لها لتعطي حياة لكل من يتحد بها. والذين لا يتحدون بالكنيسة (الجسد) يفقدون الماء الحي الذي يجري إليهم من جسد المسيح، و يصيرون كالإبن الذي يفتقد لبن أمه، و بعد ذلك يصيرون غرباء عن الحق يُحملون بكل ريح تعليم على كل اتجاه، ولا يكون لهم صخرة نجاة يرسخون عليها معرفتهم، ولا يشرق عليهم نور الله.

والقديس إيرينيئوس يميز الكنيسة الحقيقية بواسطة وحدتها الداخلية بالرغم من تفرعها الخارجي، فإيمانها واحد وحيد مستمد من الرسل، لذلك فهي المؤتمنة على تعليم الإيمان والشهادة.

أما العلاّمة **كلمندس الإسكندري** فيرى أن جسم الكنيسة محكوم بالكلمة، حيث يقصد بالكلمة «المسيح» نفسه، و بالتالي كلمته «جسم متحاب، جماعة أشخاص محكومين بالكلمة، شركة مختارين». ومن هنا يصبح للكنيسة الحق أن تحكم بالكلمة لأنها محكومة بالكلمة!

أما **أوريجانس** فيرى أن الكنيسة بالحقيقة هي «أولئك الذين لا عيب فيهم ولا غضن ولا شيء من مثل هذا»، لذلك يرى أن «خارجاً عن الكنيسة لا يخلص أحد». كذلك فإنه يقطع بأنه «لا يمكن أن يكون هناك شيء حق إلا إذا كان مطابقاً لما استلمته الكنيسة من التقليد الرسولي».

والقديس كبريانوس يشدد على أهمية الكنيسة استناداً على وحدتها، وفي نظره أن الذي لا يمسك بوحدة الكنيسة لا يمسك بالإيمان أصلاً، والأساقفة في نظره هم أول من يلزمهم حفظ هذه الوحدة التي يسميها «وحدة الإيبارشية»، فالإيبارشية مهما تعددت فهي واحدة غير منقسمة. فبينما كل أسقف يتمتع بسلطانه وحقوقه منفرداً، أي سلطان كل أسقف كامل في حد ذاته ومستقل، ولكن «وحدة الأسقفية» تتم وتوجد عن طريق وحدة الأساقفة أنفسهم. وفي هذه الحالة يكون تعدد الأساقفة ليس من شأنه أن يقلل

إطلاقاً من وحدة الكنيسة وعملها .

وفي نـظر القديس كبر يانوس ، فإن الكنيسة تستمد وحدتها من وحدة أصلها ، فوحدة الأصل هي التي تؤمّن التفرع وتؤمّن الإختصاص بحيث إن الفرع الذي لا يتمسك بوحدة الأصل يموت .

لـذلـك فـالـكنيسة أُم ، منها وفيها نولد ، ومن لبنها نغتذي ، ومن نَفَسِها نتنفس ونحيا ، وهـي بآن واحـد عـروس للـمسـيـح لا تعرف غيره ، فهي التي تختم أولادها بختم ملكوت عر يسها . فالذي يفصل نفسه عن الكنيسة يفصل نفسه عن المسيح ومواعيده ، **لأن الذي لـيـس لـه الكنيسة أماً فليس له الله أباً**. وكما إنه لا يستطيع أحد أن ينجو من الطوفان وهو خارج فلك نوح ، كذلك لا يستطيع أحد أن ينجو من الموت وهو خارج الكنيسة .

والكنيسة كالمسيح ـــ في عُرف القديس كبر يانوس ـــ فالذي ليس معها فهو عليها ، والـذي لا يجـمـع مـعـها فهو يفرق . والذي لا ينمو فيها ينفصل عن الحنطة و يصير كالتبن الذي تذر يه الر يح .

والـكـنـيـسـة هـي الإ ثنان والثلا ثة المجتمعون والمسيح في وسطهم ، فالذي يخرج عن وحدتها لا يجد المسيح .

الـكـنـيـسـة جماعـة ورثـة المسيح والورثة لا يرثون ميراثاً واحداً إلا إذا كانوا في وحدة الـسـلام ، لأن الـورثـة هـم أبناء ، وأبناء الله علامتهم المميزة الظاهرة أنهم يصنعون السلام (مت ٥ : ٩).

والـقـديـس كـيـرلـس الأورشليمي يرى الكنيسة أنها كلية وجامعة في قوتها ، فهي جـسـم الـمـسيح والمسيح نفسه رأسها ، وهي المسئولة عن كل تعليم يلزم للإنسان أن يتلقنه لحـيـاتـه الأبـديـة في كل ما هو منظور وغير منظور ، أرضي أو سمائي (مختص بالخلاص) ، مـسئولة لكي تحضر الجنس البشري إلى طاعة الله سواء كانوا رؤساء أم مرؤوسين معلمين

أو متعلمين، مسئولة عن شفاء كل خطية وسقم للجسد والنفس، لها كل سلطان الحق بالكلمة والفعل، ضابطة لكل مواهب الروح، مسئولة لكي تدعو وتجمع كافة الناس بدون نقص أو تمييز ليسمع الجميع كلمة الله و يتعلموا مخافته و يعترفوا أمامه و يسبحوه. فهي أورشليم السمائية المتغربة قليلاً على الأرض، أُمُّ كل أبناء الله.

وهي ليست تحوي خدمات فقط، بل تحوي كل الحق، ففيها الحكمة والمعرفة والتعفف والبر والخير والمحبة والصبر على المحن والإضطهادات، لها كل أسلحة البر متمرنة على استخدامها لليمين واليسار، تدربت على احتمال الكرامة والهوان، وألبست شهداءها أكاليل النصرة بتشجيعهم على الصبر، وأخيراً تقبلت من كافة ملوك الأرض وعظمائها كرامة فوق كرامة، حتى امتد سلطانها إلى كافة أنحاء الأرض بلا حدود. لذلك فهي تذخر لكل من يتعلم فيها و يتمسك بحياتها نصيباً في ملكوت الله. والقديس كيرلس الأورشليمي استطاع أن يحقق هذا لنفسه ويحققه بتعليمه وقدوته لشعبه.

أما **القديس أُغسطينوس** فإنه وجد في الكنيسة «الحق الكامل حسب الإنجيل» الذي لم يجده قط في أي مكان أو مدرسة أو فكر، بالرغم من تقلبه على كل مراتب العلوم والفلسفة قبل افتباله سِرَّ الكنيسة، ولكنه لا يرى الحق في الكنيسة منفصلاً قط عن سلطانها، «فالإيمان الكامل» عند أُغسطينوس لابد أن ينبثق من سلطان الكنيسة و يرتاح عليه حيث السلطان هو محصلة خبرات متراكمة، كلها تمثل قوة الإنجيل وفاعليته في حياة مدبري الكنيسة وشعبها عبر العصور.

ولكن من ناحية أخرى، يرى أُغسطينوس أنه لا يستطيع أحد أن ينتمي إلى وحدة الكنيسة وهو خالٍ من المحبة.

والقديس أُغسطينوس يفرق بين الكنيسة المنظورة كجماعة فيها الصالح والشرير و يسميها «الشركة الخارجية»، و بين الجماعة الروحانية التي يسميها «الشركة المقدسة»، الذين يتكونون من المعيَّنين للخلاص اختارين أعضاء الكنيسة المستحقين

للدعوة، وهؤلاء المعتبرون «كنيسة بالمعنى الحقيقي» لا يعرفهم إلا الله وحده، لأنه ربما لا يمتازون في الشكل عن الآخرين.

والقديس أغسطينوس يرى أن الكنيسة الحقيقية تمثل «مدينة الله» فهي تختلف عن العالم باعتبار أن الكنيسة «شركة القديسين»، أما العالم فمجتمع مدني، وهما من الأساس في صراع ومقاومة. فالكنيسة وطن الإلهام والروح وقوة الله، أما العالم فكان الأطماع والمثاليات المادية وملكوت الشيطان. ولكن ليس من فاصل بينهما فهما دائماً في تفاعل وكل منهما يؤثر في الآخر. ولكن لولا الكنيسة ما بقي العالم.

والقديس أُغسطينوس يرى أن الكنيسة مصدر وحيد للنعمة لأنها تملك روح السلام والمحبة وهي تعطيه في الأسرار، لذلك فكل من يفصم رباط المحبة يفقد قوة الأسرار. لذلك فالمعيار الأول لروحانية الكنيسة وجامعيتها ووحدتها عند القديس أُغسطينوس يكمن في المحبة، الواحد تجاه الآخر.

آباء القرن الرابع وما قبله، وبالأخص **القديس أثناسيوس الرسولي** اهتموا بأرثوذكسية الكنيسة أكثر من جامعيتها، حيث تركز إيمانهم وحبهم وحياتهم بجوهرها أكثر من شكلها. أما في الغرب فقد احتلت صفة «الكاثوليكية» محل «الأرثوذكسية» دون اعتبار لأي شيء، ولكن ظل الإصطلاح «أرثوذكسية» عند الآباء قاطبة يحمل معنى تراثها وتقليدها وعقيدتها.

أما عندنا نحن الأقباط، فقد ظلت الأرثوذكسية هي المفهوم الشامل للكنيسة، أي أن الجوهر صار هو التعبير الوحيد المضمون عن الكنيسة، وكأننا نعيش فكر القديس أثناسيوس بل فكر المسيح، ونحيا منفاه بل بالحري صليبنا منذ مجمع خلقيدونية المشئوم، فمصر لا تزال مصلوبة من العالم المسيحي. وأثناسيوس لا يزال يتنقل بين البراري وصعيد مصر هارباً من وجه مضطهديه.

(١٩٧٥)

في معنى الوحدة :

هل تعود هذه الأيام ثانية ؟

□□□

نص خطاب مملوء وداً وإخلاصاً وأمانة وثقة واتضاعاً، بين أسقف روما الكلي المحبة وأسقف الإسكندرية الكلي الإحترام بمناسبة عودة القديس أثناسيوس من منفاه...

من يوليوس أسقف روما إلى كهنة وشمامسة شعب الإسكندرية :

أهنئكم أيها الإخوة المحبوبون، لأنكم الآن ترون بأعينكم ثمرة إيمانكم، لأن هذه هي حقيقة قضية أثناسيوس الأسقف الزميل التي يمكن أن يراها الآن كل واحد، الذي من أجل طهارة حياته ومن أجل صلواتكم أعاده الله إليكم مرة ثانية. وهذا بيِّنة على أنكم كنتم بلا انقطاع تقدمون لله تضرعات نقية مملوءة بالمحبة عالمين بالمواعيد الإلهية والمحبة المؤدية إليها، هذه التي تعلمتموها من أخي أثناسيوس، واثقين بكل تأكيد ــ عن معرفة وإيمان صادق ــ أن هذا الذي احتفظتم به حاضراً دائماً في قلوبكم بالتقوى لن ينفصل عنكم إلى الأبد.

وإني أعتقد أنه ليست هناك حاجة أن أستخدم عبارات كثيرة في الكتابة إليكم، لأن **إيمانكم** قد سبق وفاق كل ما يمكن أن أقوله لكم، وبهذا الإيمان نلتم كل الرجاء المنتظر لصلواتكم العامة.

ولهذا فإني أفرح أيضاً معكم لأنكم حفظتم أنفسكم بالإيمان غير منهزمين. كما إني

بالمثل أفرح مع أخي أثناسيوس كونه قد احتمل محناً هذا عددها ، لم يوجد في أي وقت ناسياً محبتكم وشوقكم نحوه. فبالرغم من أنه ظهر وكأنه قد انتُزع منكم بالجسد إلى فترة إلا أنه كان يحيا كحاضر معكم بالروح على الدوام.

وبالأكثر فإني مقتنع يا أحباء أن كل تجربة عاناها لم تكن بدون مجد، إذ بها جاز إيمانكم وإيمانه الإمتحان ثم استُعلن للجميع. فلولا هذه الضيقات كلها التي عاناها، من كان يصدق هذا التوقير وهذه المحبة وبهذا المستوى العالي التي أظهرتموها من نحو أسقفكم الجليل، أو من كان يعرف أنه موهوب بهذه الفضائل الممتازة التي على أساسها يتثبت رجاؤها أيضاً في السموات؟ فهو بهذه الضيقات حصل على شهادة واعتراف حُسبا له بالمجد هنا في هذا الدهر وفي الآتي.

وهو عندما جاز هذه المحن كلها المتعددة الأشكال في البر وفي البحر عابراً على كل دسائس الآريوسيين، كان يتعرض دائماً إلى الخطر بسبب الأحقاد، ولكنه كان يستهين بالموت عالماً أنه في حمى الله القدير والرب يسوع المسيح واثقاً أنه ليس فقط سينجو من مؤامرات مضطهديه بل وأنه سيعود إليكم من أجل تعزيتكم ومعه شهادات انتصار هي أصلاً من صنع ضميركم، التي بها صار معروفاً وممجداً حتى وإلى أطراف الأرض! وإنه مستحق لهذا باستحقاق نقاوة حياته وحزم عزيمته، وتشبُّثه الذي لا يتزعزع بالعقيدة الإلهية، هذه التي شهدتم أنتم لها وأثبتموها له بتوقيركم وحبكم الذي لم يتزعزع.

فها هوذا يعود إليكم وهو أكثر تألقاً مما كان يوم غادركم!! لأن النار إن كانت تجعل الذهب والفضة أكثر نقاوة بعد الإختبار، فكم بالحري ما يقال بالنسبة لإنسان عظيم مثل هذا متناسب مع كل استحقاق، الذي بعد أن جاز النار بغلبة مرات عديدة وبمخاطر، يعود إليكم الآن وبراءته معلنة أمامه ليس من جهتي فحسب بل والمجمع كله أيضاً!

فالآن، أيها الإخوة الأحباء، استلموا أسقفكم أثناسيوس بكرامة وفرح إلهي مع كل الذين رافقوه في الضيقات، وتهللوا لأنكم نلتم رجاء صلواتكم، أنتم الذين كنتم بالطعام

والشراب تعضدونه وبالخطابات كنتم تساندونه، أما راعيكم هذا فكان جائعاً دائماً وعطشاناً إلى تقدمكم الروحي.

وفي الحقيقة أنتم كنتم عزاء نفسه عندما كان متغرباً في الأراضي البعيدة فصرتم إنعاشاً لروحه بعواطفكم الصادقة وهو في أعماق المحن والإضطهاد.

أما أنا فإنه يسعدني حتى ولمجرد تصوري فرحة كل واحد منكم عند عودته إليكم وتحيات التقوى الصادرة من كل الشعب وأعياد اللُّقيا المجيدة التي تتهيأ لها الجماعات، وعجبي على تلك الصورة الكاملة لذلك اليوم الذي فيه يلتقي أخي هذا بكم مرة أخرى، عند نهاية الضيقات كلها، عندما تلتحم القلوب جميعاً الملتاعة بالشوق، للعودة المبتغاة بأحرِّ ما تكون عليه تعبيرات الفرح. وإن هذا الشعور عينه يمتد في أعلى درجاته، **نحن الذين نعتبره بيِّنة على فضل الله علينا أنه جعلنا أهلاً لهذا الإمتياز أن نتعرف على هذا الإنسان الجليل الشأن.**

وإنه ليليق بنا أن نختم هذه الرسالة بصلاة:

ـ ليت الله القادر على كل شيء وآبنه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يمدكم بهذه النعمة على الدوام، وهكذا يعوضكم عن الإيمان العجيب الذي أظهرتموه بشهادة عجيبة فيما يختص بأسقفكم بأن يجعل لكم وللذين معكم «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه» بالمسيح يسوع ربنا الذي به المجد لله القادر على كل شيء إلى الأبد آمين.

وإني أصلي لكي تتشددوا أيها الإخوة المحبوبون(١).

انتهى خطاب يوليوس أسقف روما إلى
أهل الإسكندرية كما سجله أثناسيوس بنفسه.

---

(1) a. Apology Cont. Arian, 52.
b. Socrat. 11, 23.

تعليقنا على رسالة يوليوس أسقف روما لكنيسة الإسكندرية:

تُعتبر هذه الرسالة من أهم الوثائق في تاريخ العلاقات بين أساقفة الإسكندرية وروما، وهي أعلى نموذج لما ينبغي أن تكون عليه الصلات بين الكنائس وبين رجال الدين عموماً.

وتمتاز هذه الرسالة بالعناصر الآتية:

أ ــ الروح المسيحية تنطلق في هذه الرسالة لتعبر عن المشاعر الإيمانية والإنسانية معاً في أُلفة منقطعة النظير، فليست القناعة وحدها بصحة العقيدة والإيمان هي التي أمْلت هذه الرسالة؛ بل والمشاعر الإنسانية الصادقة التي قيّمت الظلم والعسف والجور الواقع على إنسان بريء، وما أحوج الكنيسة اليوم لهذا التناسق بين اللاهوت والإنسانية.

ب ــ لقد نأى هذا الأسقف الطيب القلب في عبارات هذه الرسالة عن كل أساليب السياسة التي تنبع أصلاً عن الإحساس بالذات وتعظيم الإمتيازات العنصرية بأي وجه من وجوهها، فقرظ أثناسيوس كشخص أفضل وقرظ شعب الإسكندرية كشعب أقدس باتضاع مذهل، وهو بذلك رفع نفسه دون أن يدري فوق كل مستوى بشري!!

ج ــ كذلك نجد في هذه الرسالة أن هذا الأسقف الجليل الشأن حقاً قد ترك روحه ومشاعره تتكلم عما تحسه وتؤمن به في إخلاص وصدق وبساطة ملفتة جداً للنظر، فتكلم كلاماً إذا وزن بموازين العزة والأَنَفَة الرومانية وجد ناقصاً نقصاً معيباً. ولكنه إذا وُزن بميزان المسيح لوُجد كاملاً كمالَ المسيح ذاته!!

(ديسمبر ١٩٧٥)

مسيحُ العالم كلّه

□□□

فلنبدأ رسالة الميلاد الجديد لهذا العام بأُنشودة بولس الرسول، اللاهوتية في مبناها، الإنسانية في معناها، ذات الشموخ الذي يمتد بمعرفتنا للمسيح، ليرسو بها على قواعد جديدة عالية إلهية وإنسانية معاً، ممتدة حتى السماء وفي الأرض كلها، ولا حدود لإمتدادها. القديس بولس الرسول يتجاوز هنا في وصفه للمسيح كل معرفتنا التقليدية وألفاظنا المألوفة التي طالما تغنّينا بها عن المسيح المولود في بيت لحم. كلمات الرسول هنا لازمة لنا هنا وفي هذه المناسبة لتهز أساسات التفكير المنطقي، ولتوقظ وعي الإنسان المسيحي، حتى يتعرف أكثر على مسيحه المولود في بيت لحم، مسيح العالم كله!!

الرسالة إلى كولوسي الأصحاح الأول من عدد ١٥ ــ ٢٠ (١)

١٥ ــ « هو صورة الله الذي لا يُرى،
المولود قبل الخلائق كلها (٢)
١٦ ــ ففيه خُلق كل شيء
مما في السموات ومما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى. أأصحاب عروش كانوا أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين (٣)، كل شيء خُلق به وله (٤)
١٧ ــ كان قبل كل شيء و به قوام كل شيء (٤)

---

(١) الطبعة الكاثوليكية الحديثة ببيروت.

(٢) أي مولود غير مخلوق، قبل الخلائق وأعظم منها جميعاً بما فيها رتب الملائكة جميعاً.

(٣) أسماء الرتب الملائكية.

(٤) كل خليقة تستمد وجودها و بقاءها من المسيح. وفي المسيح ينتهي القصد من خلقتها، فهو المبدأ والنهاية، العلة والغاية لكل حياة ونظام.

١٨ ـــ وهو أيضاً رأس الجسد أي الكنيسة.
الذي هو البداءة و بكر القيامة من الأموات(٥)
لتكون له الأولو ية في كل شيء.
١٩ ـــ فقد شاء الله أن يحل به الملء كله(٦)
٢٠ ـــ و به شاء أن يصالح كل موجود،
سواء في الأرض أو في السموات،
فهو الذي حقق السلام بدمه على الصليب.(٧)

أفيقوا أيها السامعون، نحن هنا أمام أب البشر ية كلها ورأسها الجديد، آدم الثاني الذي لا بداية أيام له ولا نهاية، الذي تحت أبوّته ينطوي آدم الأول و ينحني مع كل ذر يته، وكل الخلائق تستقي من حنان أبوّته حتى نهاية الدهور.

لقد حان الوقت أن نتعرف على مسيح العالم كله.
كلنا عرفنا مسيح الأسرة الملتئمة حول أب تقي وأم تقية،
كلنا عرفنا مسيح الجمعية ومسيح الكنيسة المجتمعة حول كاهن صالح.

وقد حان الوقت أن نعرف مسيح الشارع، مسيح الناس، الناس كل الناس الذين عرفوه والذين لم يعرفوه، مسيح الأشرار والأبرار، الصالحين والطالحين، في كل مدينة وقر ية، في كل شعب وأمة، في كل أنحاء العالم... مسيح العالم كله.

المسيح أكبر من ركن الصلاة في البيت، المسيح أكبر من صالة الجمعية وصحن الكنيسة والكنائس كلها.
المسيح لا يرضى بأقل من العالم كله.

---

(٥) أي مبدأ الحياة الأبدية وسببها فهو أول من قام ولا قيامة إلا به.

(٦) بمعنى ملء اللاهوت الذي حل في الجسد.

(٧) أي أكمل الصلح والإنسجام بين الخلائق معاً و بين الخلائق والله فقد صالح السمائيين مع الأرضيين وصالح السمائيين والأرضيين مع الله وهذه المصالحة إجمالية تشمل الطبائع والأجناس تمهيداً للمصالحة الفردية التي ينبغي أن تتم بطاعة كل فرد للمسيح واغتساله بالدم، دم الفداء والتكفير والتطهير.

ـــ المسيح رفض أن يبقى سجين أسرة: «من هي أمي ومن هم إخوتي، ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي، لأن كل من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت ١٢: ٤٨ و ٤٩)

ـــ المسيح رفض أن يكون سجين تلاميذه، وحِكراً على تابعيه ومريديه: «يا معلم رأينا واحداً يُخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا. فقال له يسوع لا تمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا.» (لو ٩: ٤٩)

ـــ المسيح رفض أن يكون سجين مبادىء وأفكار وآراء وأسماء: «كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبُلُّوس وأنا لصفا وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس صُلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم؟» (١ كو ١: ١٢ و ١٣)

ـــ المسيح رفض أن يبقى سجين أماكن ومقدسات: «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه. قال لها ياامرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب... الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق...» (يو ٤: ٢٠ ـــ ٢٣)

ـــ المسيح رفض أن يبقى سجين شيعة أو طائفة، كما أوضح في مثل السامري الصالح. (لو ١٠: ٣٠ ـــ ٣٦)

ـــ المسيح رفض أن يبقى سجين وطن أو شعب أو تخوم بلاد أو أجناس أو لون: «وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض... اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم!!» (أع ١: ٨؛ مت ٢٨: ١٩)

فالآن وقد عرفنا مسيح بيت لحم مسيح اليهودية وأورشليم، فهل آن الأوان أن نعرف مسيح بلاد الدنيا كلها؟ المسيح الكامل مسيح جميع الأمم بلا استثناء ولا تمييز ولا تحيُّز بين شيعة وأخرى أو طائفة وأخرى أو شعب أو تخوم أو أجناس أو ألوان؟ «حيث ليس يهودي ولا يوناني (اختلاف الأجناس) ـــ ليس ختان وغرلة (اختلاف طقوس) ـــ ليس بربري وسكيثي (اختلاف ثقافة وحضارة) ـــ ليس عبد وحر (اختلاف اجتماعي

وطبقي) ــ ليس ذكر وأنثى (اختلاف جنسي) ــ بل المسيح الكل في الكل.»
(كو٣: ١١)

مسيح العالم كله وُلد من أجل العالم كله لأنه أحب العالم كله، ومن أجل كل العالم سفك دمه: «وهو كفّارة **ليس لخطايانا** فقط بل لخطايا **كل العالم** أيضاً» (١يو٢: ٢)، فدمه لا يمكن أن يساوي أقل من العالم كله.

فلماذا نحصر حب المسيح ونكتمه، ونحكم أنه لا يكفي إلا لنا ولمن يتبعنا فقط؟

لماذا نحتكر دم المسيح لأنفسنا فقط، ونمنعه عن الآخرين الذين لا يتبعوننا وكأننا اشتريناه بتقوانا أو بمبادئنا وحكمتنا؟

لماذا نرى خطايانا تُغتسل في دم المسيح مجاناً وبسهولة، وننكر على الآخرين باعتداد وعناد هذا الإغتسال والتطهير؟

مع أن المسيح لم يجعلنا قوّامين على شرف دمه ولا نحن أكثر من مغتسلين، والدم قيل عنه بصراحة شديدة ووضوح كافي أنه كفارة «ليس لخطايانا فقط بل لخطايا **كل العالم** أيضاً.» (١يو٢: ٢)

لقد عرفنا مسيح المعتبَرين أنهم «بنو الملكوت»، المدعوون الرسميون لعشاء المسيح، وفَعَلة الساعة الأولى من الصباح؛ وعرفنا مسيح «الكاتشيزم» والنصوص والقوانين والحدود الموضوعة. فهل آن الأوان أن نعرف أيضاً مسيح جهلة العالم والمتجاهَلين من شعوب الأرض والتائهين في شوارع الدنيا والأزقة وليس لهم من حدود أو قيود وليس من يذكرهم أو يردهم؟

هل آن الأوان أن نعرف مسيح الماديين والملحدين والمستهترين من شباب الدنيا الذين لما لم يجدوا مسيحهم في كنيسة أو في أب صالح أو قدوة طيبة، المسيح الطيب الذي يحيا لهم وبينهم ويحمل خطيتهم، أخذوا يبحثون في الطبيعة أو في الغريزة أو المخدر علَّهم يجدون سلامهم المفقود!

هل آن الأوان أن نعرف مسيح هؤلاء وأولئك، المسيح المتألم المرفوض والمهان، التائه في شوارع المدينة وأزقّتها: «اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا

المساكين والجُدع والعُرج والعُمي...» (لو١٤: ٢١)؛ مسيح المرفوضين بمقتضى القوانين والأنظمة والتشريعات والمعتبرين أنهم خارج الحدود وخارج السياجات: «اخرج إلى الطرق والسياجات **وألزمهم** بالدخول **حتى يمتلىء بيتي.**» (لو١٤: ٢٣)؛

مسيح العشارين والزواني: «إن العشّارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله.» (مت٢١: ٣١)؛

مسيح الأشرار والصالحين: «فاذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم **أشراراً وصالحين.** فامتلأ العرس من المتكئين.» (مت٢٢: ٩و١٠)؛

مسيح الخطاة: «إنه دخل ليبيت عند رجل خاطىء.» (لو١٩: ٧).

هلْ آن الأوان أن نئن على بقية أعضاء المسيح المهانة المفضوحة في أنحاء العالم كله، التي عرّتها الخطيئة وعرّاها الظلم وعرّاها العقل البشري، فتبرأت منها الكنيسة مع أنها جزء من الكنيسة لأنها رسالتها رضيت أو لم ترْضَ، فهي جزء من المسيح لا يمكن أن يستحي به أو يتخلى عنه لأنه جزء من آلامه ومن صليبه ومن مجده!!

هل آن الأوان أن نستكمل معرفتنا بشكل المسيح الحقيقي الذي يجمع كل هذه البشرية في نفسه و بالأخص هذا الجزء منه، القبيح في نظرنا، المستهتر والنجس والشنيع في أعيننا، الذي به و بالرغم من وجوده يبقى المسيح جميلاً كما هو، طاهراً كما هو، قدوساً بلا عيب!!

ألم يُصلب من أجل الكل؟

ألم يحمل خطايا العالم كله «في جسده على الخشبة.» (١بط٢: ٢٤)؟

ألم يغسل خطية العالم كله بدمه لما تخضب به جسده، وجسده نحن والبشرية كلها؟ «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو٥: ٨)

فالصليب سابق لوجودنا، سابق لإيماننا، والدم الذي سُفك ثمناً لفداء الجميع قد دُفع كله مقدماً قبل أن يدركه أحد وقبل أن يطالَب به إنسان!!

+ + +

فالآن إن كنا نؤمن بالمسيح الكامل، مسيح العالم كله، آدم الثاني، أبو البشرية الجديد، الذي تبنى طبيعة الإنسان عامة لتكون له خاصة، فوُلد بها ليعلن فيها نفسه، وذُبح بها ليقدّسها و يقدمها ذبيحة للآب، فصارت بواسطته خليقة جديدة، متبنّاة، مصالحة ومقبولة أمام الآب، وصار هو بها مسيح العالم كله، مسيح الطبيعة البشرية قاطبة الذي «شاء الله أن يحل به الملء كله و به شاء أن يصالح كل موجود» (راجع كو١: ١٩و٢٠). إن كنا نؤمن به كذلك ونؤمن أننا به متحدون، فقد أصبحنا مسؤولين بمقتضى إيماننا هذا عن وحدة الطبيعة البشرية التي في المسيح بكل شعوبها وأجناسها ولغاتها وأديانها وعقائدها وطوائفها، مسؤلين عن وحدتها داخل قلبنا، داخل شعورنا وإيماننا وثقتنا، داخل وجودنا وكياننا المسيحي، هذا إن كنا حقاً في المسيح، والمسيح فينا.

نحن لا يهمنا موقف هؤلاء الناس من المسيح، ولكن الذي يهمنا هو موقف المسيح منهم، لأن مثله تماماً ينبغي أن نكون نحن أيضاً، لأننا به متحدون!! فالمسيح مصلوب من أجل كل إنسان و بالتالي من أجل العالم كله، ونحن «مصلوبون مع المسيح» ينبغي أن نكون كذلك مصلوبين معه من أجل كل إنسان مهما كان موقفه من المسيح ومنا، و بالتالي من أجل العالم كله!

المسيح مات بيد جماعة أظهروا نحوه عداوة قاتلة وأبغضوه حتى الموت، ولكن المسيح لم يبغضهم لأنهم جزء منه، لذلك فرح أن يموت عنهم ليفديهم و يفدي العالم كله من الموت ومن لعنة العداوة والبغضة القاتلة!! هذه كانت ولا تزال أعلى درجة في مفهوم المحبة العملية نحو العالم، وأعظم وسيلة لجمع البشرية المتفرقة إلى واحد. موت المسيح بيد أعداء له راضياً ومن أجلهم كان ذروة الكرازة بمحبة الله، لأن بموته امتص سم العداوة وغسل خطية العالم.

والآن كرازتنا للعالم ستبقى عاجزة وغير ذات قوة إلى اللحظة التي فيها نقبل أن نموت و يُسفك دمنا مع دم المسيح، لا عن أحبائنا بل عن أعدائنا والغرباء عنا وعن عقيدتنا، وعن كل الذين يبغضوننا وكل العالم. و بذلك نشترك مع المسيح مجدداً في الموت عن

العالم كل يوم، لقتل العداوة وكسر شوكة الخطيئة وجمع المتفرقين إلى واحد: «من أجلك (ومعك) نُمات كل النهار وقد حُسبنا كغنم ذبائح.» (رو٨: ٣٦)!

هذه هي ذروة الكرازة بمسيح العالم كله لوحدة شعوب العالم وأجناسه.

وهذه هي رسالة المسيحية الأولى والعظمى في العالم: أن نموت من أجل العالم بلا تمييز بين إنسان وإنسان.

هذه هي الرسالة التي ظلت متعطلة ومحبوسة في إطارات حديدية من الأنانية والطائفية والعنصرية والتعصب للأجناس والأديان والعقائد.

+ + +

كل سنة كنا نعيِّد لميلاد المسيح، ولكنه كان حتى الآن مسيح الأسرة، مسيح العقيدة المنحصرة في ذاتها، مسيح الفضلاء والأتقياء، مسيح ذوي البشرة البيضاء.

فهل آن الأوان يا إخوة أن نعيِّد لميلاد مسيح كل العالم؟

مسيح كل عشيرة تسمى على الأرض وفي السماء من كل أمة ولسان و بشرة سوداء وصفراء وحمراء؟

مسيح كل من ينادي باسم الرب ولو لم يعرفه؟

مسيح مساكين الأرض الذين لا يعرفون شمالهم من يمينهم؟

مسيح خراف العالم الضالة والمشردين شباناً وشابات؟

مسيح الخطاة والعشارين والزواني وكل الجالسين في الظلمة وظلال الموت يترقبون إشراق نور الخلاص؟

فهذا هو المسيح الحقيقي الذي وُلد في بيت لحم وصُلب فوق الجلجثة، مسيح العالم كله.

(يناير ١٩٧٠)

هذا الكتاب

ليس الجميع لهم إحساس واحد بالله، لذا نرى الوحدة غير منظورة بمنظار واحد. فهي تمتد وتتقلص عند الناس بقدر ما للقلوب من علاقة بالله...

فما هي الوحدة المسيحية التي بحسب مشيئة الآب؟

هل هي الوحدة التي تعمل لها العاطفة عند الإنسان ــ لاشعورياً ــ نتيجة للنزوع الغريزي عنده نحو ألفة طبيعية؟...

أم هي نتيجة النزوع الآخر نحو التكتل المضاد للعوامل المضادة؟...

لا هي هذا ... ولا هي ذاك ...

في هذا الكتاب ستجد الصورة الكاملة الصحيحة للوحدة المسيحية في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح.

إعادة الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٣

الثمن جنيهاً واحداً